الفصل السابع
الرعاية وبر الوالدين

مقدمة

رعاية كبار السن ليست جديدة على المجتمعات الإسلامية، لأن الإسلام أعطى لكبار السن اهتماماً كبيراً، وحث على توقيرهم. فقال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**» (رواه البخاري) وقال ﷺ: «**ليس منها من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**» (رواه أحمد والحاكم). وجعل إكرام الكبير من طاعة الله وإجلاله. فقال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم**» (رواه أبو داود).

وكان رسول الله ﷺ يوقر كبير السن ويحترمه، فعن أنس –رضي الله عنه– أن أبا بكر الصديق جاء بأبيه إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة يحمله، حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**لو أقررت هذا الشيخ في بيته لأتيناه**» (رواه أحمد).

ونظم الإسلام رعاية كبار السن، وحدد حقوق الآباء، وجعلها واجبات على الأبناء وألزمهم بها، ورفعها إلى مرتبة بعد عبادة الله مباشرة، وبَيَّن في القرآن الكريم والسنة الشريفة أعمال بر الوالدين وأفضالها، وعقوق الوالدين وعقابها، وحث المسلمين على البر، وحرَّم عليهم العقوق.

وهذا ما دفعنا إلى إعداد هذا الفصل عن الرعاية وبر الوالدين باعتبار أن رعاية كبار السن جزء لا يتجزأ من بر الوالدين، أو هي أهم جزء فيه. ونتناول فيه تعريف بر الوالدين، ومكانته في الإسلام، وواجبات الأبناء في بر الوالدين، والفرق بين مفهوم الرعاية في العلوم الحديثة ومفهوم بر الوالدين في العلوم الشرعية وفضائل بر الوالدين.

تعريف بر الوالدين

يقصد ببر الوالدين في الاصطلاح الشرعي "اسم جامع لكل خير يقدمه الأبناء للوالدين من رعاية وحماية، وحُسْن عشرة ومودة ورحمة بهما. فالابن البار بوالديه يتفانى في خدمتهما والإنفاق عليهما، والخضوع لهما، والتضحية بكل شيء من أجل راحتهما وأمنهما. فقد جاء في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا –يرحمه الله– "الإحسان المأمور به في بر الوالدين أن يقوم الابن (أو الابنة) بخدمة والديه، وأن يسعى في تحصيل مطالبهما، وطاعتهما والإنفاق عليهما بقدر سعته وإمكانياته" (عن محمد، ١٩٩٦: ١٦١). والبر ضد العقوق الذي سنناقشه في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

مكانة بر الوالدين

جعل الإسلام بر الوالدين من الأعمال التعبدية، التي تأتي بعد عبادة الله مباشرة. قال الله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الأنعام:١٥١].

فالإحسان إلى الوالدين الذي جاء في الآيات الثلاث بعد عبادة الله وعدم الشرك به سبحانه وتعالى هو البر بهما، حيث أمر الإسلام الأبناء –كما يقول محمد رشيد رضا في تفسير المنار– أن أحسنوا إلى الوالدين إحسانا تاما كاملا، ولا تقصروا في شيء منه، ولا تدخروا وسعاً، ولا تألوا جهداً في برهما.

وأكد الإسلام على بر الوالدين في توصية الأبناء بالإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾[العنكبوت:٨]، وقال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان]. وعن معاذ بن جبل –رضي الله عنه– قال أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلت أو حُرِّقت، ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك**» (رواه أحمد).

وسأل عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال ﷺ «**الصلاة على وقتها**». قال: ثم أي؟ قال ﷺ: «**بر الوالدين**». قال: ثم أي؟ قال ﷺ «**الجهاد في سبيل الله**» (متفق عليه). وجاء رجل النبي ﷺ وقال: أبايعك على الهجرة والجهاد. قال ﷺ: «**فهل لك من والديك أحد حي؟**» قال: نعم كلاهما، قال ﷺ: «**فتبغي الأجر من الله تعالى؟**» قال: نعم. قال ﷺ: «**فارجع إلى والديك وأحسن صحبتهما**»، وفي رواية «**ففيهما فجاهد**» (متفق عليه).

يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث المراد بالجهاد فيهما هو مجاهدة النفس في وصول البر إليهما، بحسن الصحبة والعشرة والطاعة (النووي ١٩٧٦: ١٥٩).

ونستشف من هذه النصوص النقلية أن الإحسان إلى الوالدين وبرهما من أفضل الأعمال بعد عبادة الله وعدم الشرك به سبحانه وتعالى. وفي ذلك قال ابن عباس –رضي الله عنه– "لا أعلم عملا أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدين".

وقد جعل الله الإحسان إلى الوالدين تالياً لعبادته سبحانه لأربعة أسباب (محمد، ١٣٠:١٩٩٦) نلخصها في الآتي:

١- إنهما سبب في وجود الأبناء، فلا إنعام بعد إنعام الله –عز وجل– من إنعام الوالدين.

٢- إنعام الوالدين على الأبناء يشبه إنعام الله، من حيث إنهما لا يطلبان ثناء ولا ثواباً ممن أنعما عليهم.

٣- لا يمل الله سبحانه وتعالى من إنعامه على العبد، وإن أتى بأعظم الجرائم، وكذلك الوالدان لا يقطعان مودتهما وكرمهما عن الأبناء، وإن كانوا غير بارين بهما.

٤- لا خير يمكن للعبد إلا ويريده الله لعبده، وكذا الوالدان يريدان كل الخير للأبناء، ويعملان من أجل زيادة أبنائهما من كل كمال.

واجبات الأبناء في بر الوالدين:

وجعل الإسلام بر الوالدين واجبات على الأبناء وحقوقاً للآباء، وجعلها من العبادات التي تقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ليخلص الأبناء في الإحسان إلى الآباء. وتتلخص واجبات الأبناء في بر الوالدين في الآتي:

١- **طاعتهما في كل أمر يأمران به** في غير معصية، وإنفاذ عهدهما. فقد قال رسول الله ﷺ «**طاعة الله في طاعة الوالدين، ومعصية الله في معصية الوالدين**» (رواه الطبراني).

٢- **مصاحبتهما في الدنيا معروفا،** ولين القول لهما، والرحمة بهما، والائتلاف معهما. قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ ﴾ [لقمان:١٥]، وجاء رجل رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال ﷺ: «**أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك**» (متفق عليه).

٣- **الاجتهاد في عمل ما يرضيهما،** ويفرحهما ويضحكهما، ويشرح صدريهما. فقد قال رسول الله ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين**» (رواه الطبراني).

٤- **توقيرهما واحترامهما،** والاستئذان عليهما، والقيام لهما، وتعظيم شأنهما. فقد جاء رجل رسول الله ﷺ ومعه شيخ. فقال ﷺ: **من هذا معك؟** قال: أبي قال ﷺ: **لا تمش أمام أبيك، ولا تقعد قَبْله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له** (رواه البيهقي) أي لا تكون سبباً في مسبته.

٥- **الإنفاق عليهما،** وقضاء ديونهما. فقد قال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة:٢١٥] وقال رجل يا رسول الله ﷺ: إن لي مالاً وولداً وإن أبي يريد أن يجتاح -أي يريد أن يأخذ مالي. قال ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**» (رواه ابن ماجة)، وقال ﷺ أيضاً: «**إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم فكلوا هنيئاً مريئاً**» (رواه أبو داود).

٦- **إلزام قدميهما،** والقيام بخدمتهما وإطعامهما وكسوتهما، ودفع الأذى عنهما، والتضحية من أجلهما، لاسيما في المرض والعجز، فعن طلحة بن معاوية السلمي -رضي الله عنه- قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أريد الجهاد في سبيل الله قال ﷺ: **أمك حية؟** قلت: نعم قال ﷺ: **إلزم رجلها فثم الجنة** (رواه الطبراني). وفي رواية أخرى للطبراني «أتى رجل رسول الله ﷺ يستشيره في الجهاد فقال ﷺ: **ألك والدان؟** قال: نعم. قال ﷺ: **فالزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما**» .

٧- **التواصل معهما** بالزيارات والهواتف، واستقبالهما بابتسامة وبشاشة في كل الأحوال، وإن اختلفا مع الابن (أو الابنة) في الدين أو المذهب، أو التوجهات النفسية والفكرية والاجتماعية والسياسية. فعن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: قدمت عَلَيَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ وقلت: قدمت أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال ﷺ: «**نعم صِلي أمك**» (متفق عليه).

٨- برهما بعد موتهما، بالدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما. فقد جاء رجل رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ﷺ هل بقى من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال ﷺ: **نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما، فهو الذي بقى عليك من برهما بعد موتهما** (رواه أبو داود).

٩- إكرام صديقهما في حياتهما وبعد موتهما. فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن من أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه بعد أن يولى**» (رواه مسلم)، وقال: «**من أراد أن يصل أبيه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده**» .

١٠- الدعاء لهما بعد موتهما، فالابن (أو الابنة) من كسب والديه، ومن عملهما الصالح، الذي يستمر ثوابه لهما بعد موتهما. فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**» (رواه مسلم).

١١- أداء فريضة الحج والعمرة عنهما إذا ماتا ولم يحجا أو يعتمرا. فقد قال رسول الله ﷺ: «**من حج عن أحد والديه أجزأ ذلك عنه، وبشر روحه بذلك في السماء، وكتب عند الله باراً**». وجاء رجل النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ﷺ إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن. قال ﷺ «**حج عن أبيك واعتمر**» . وجاءت امرأة عام حجة الوداع، وقالت يا رسول الله ﷺ إن فريضة الحج أدركت أبي شيخا كبيرا، لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضى عنه أن أحج عنه؟. قال: «**نعم**» (رواه البخاري).

١٢- التصدق عنهما، فقد قال رسول الله ﷺ: **ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين، فيكون لوالديه أجرها، ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيئا** (رواه أبو داود). وجاء رجل النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ﷺ إن أمي ماتت

أفأتصدق عنها؟ قال ﷺ: «**نعم**» (رواه أبو داود). وجاء آخر النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ﷺ إن أبي قد مات ولم يوص، أفينفعه أن أتصدق عنه؟ قال ﷺ: «**نعم**» (رواه مسلم).

١٣- خفض الجناح لهما، والتسامح معهما. فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء]، وفسر الإمام الصادق هذه الآية فقال: لا تمل عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق صوتهما، ولا يدك فوق يديهما، ولا تقدم قدامهما. فقد قال رسول الله ﷺ «**ما بَرَّ أباه من سدد إليه الطرف غضباً**» (مجمع الزوائد ج٨).

١٤- الاستغفار لهما: فقد قال رسول الله ﷺ «**ترفع للميت بعد موته درجة، فيقول: أي رب أي شيء هذه؟، فيقال ولدك استغفر لك**» (رواه البخاري). وفي رواية أخرى «**إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أني هذا؟، فيقال: باستغفار ولدك لك**» (ابن ماجة).

١٥- قراءة القرآن لهما: فإذا قرأ الابن (أو الابنة) ما تيسر له من القرآن، ثم سأل الله تعالى إيصال ثواب قراءته لوالديه، فإن الرأي الراجح أن يصل الثواب إليهما، وينفعهما بإذن الله تعالى، لأن قراءة القرآن دعاء للميت. وفي هذا يقول الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي مصر الأسبق «لتلاوة القرآن أجر عظيم من الله تعالى، وقد جاء في الحديث الشريف: أن لكل حرف يقرأه المسلم من القرآن عشر حسنات، وإذا طلب القارئ أن يجعل الله ثوابَ قراءته للميت، استجاب الله دعاءه إن شاء الله، كما يوصل ثواب الدعاء والاستغفار والصدقات وأفعال القرب والطاعات، وذلك فضل من الله عظيم، ورحمة للمؤمنين، وقد جاء في الحديث الشريف «**اقرءوا يس على موتاكم**» . أي لأجل انتفاعهم بثواب قراءتها، وليس ذلك مستبعداً؛ لأن الذي قدر الثواب على الأعمال هو الله تعالى، والذي يوصله لمن فعلها هو

الله عز وجل، والذي يضاعف الثواب هو الله تعالى، فله وحده عز وجل أن يجعل للقارئ ثواباً على قراءته للقرآن، ويجعل للميت ثواب القراءة إذا وهبها القارئ له . (عن محمد، ١٩٩٦ :١٦٦).

الفرق بين الرعاية وبر الوالدين:

رعاية كبارالسن من بر الوالدين أو هي الجزء الرئيس فيه، فمن قام برعاية والديه في الكبر فقد برهما وأحسن إليهما. ومع هذا فهناك فروق في استخدام المصطلحين نلخصهما في الآتي:

١- بر الوالدين مصطلح شرعي إسلامي، حدده القرآن الكريم والسنة الشريفة، أما رعاية كبار السن فمصطلح مدني اجتماعي، حددته علوم الشيخوخة الطبية والنفسية والاجتماعية.

٢- بر الوالدين عمل تعبدي قائم على الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ، ورعاية كبار السن عمل اجتماعي دنيوي، قائم على مشاعر إنسانية نبيلة.

٣- يقصد ببر الوالدين الإحسان إليهما في جميع مراحل حياتهما وبعد موتهما، أما رعاية كبار السن فتخص الوالدين في الكبر وتنتهي بموتهما.

٤- تدفع إلى بر الوالدين دوافع دينية ودنيوية نبيلة، ويثاب الأبناء عليها في الدنيا والآخرة، أما رعاية كبار السن فيدفع إليها دوافع دنيوية نبيلة، ويثاب عليها الأبناء في الدنيا فقط.

٥- يمتد بر الوالدين إلى الإحسان إليهما وصلة أرحامهما ومودة صديقهما، أما رعاية كبار السن فتقف عند الإحسان إلى الوالدين في الكبر.

فضائل بر الوالدين:

تتحقق في بر الوالدين والإحسان إليهما فضائل كثيرة، تعود بالنفع على الوالدين والأبناء معا، من هذه الفضائل الآتي:

أ- منفعة الوالدين: فالوالدان أصحاب المصلحة في بر أبنائهما لهما، حيث يحصلان على حقوقهما المادية والنفسية والاجتماعية، ويشعران بالمساندة والمساعدة والتشجيع من الأبناء، ويجدان منهم الحماية والخدمة والرعاية في العوز والكبر والعجز، مما يرفع معنوياتهما في الحياة، ويزكي نفسيهما، ويصلح بالهما، ويؤخر شيخوختهما، ويحفظ صحتهما النفسية والجسمية أطول فترة ممكنة في مرحلة الكبر، حيث تتفق الدراسات في طب الشيخوخة وعلم نفس الشيخوخة وغيرهما من علوم الشيخوخة على أن الوالدين يربحان نفسيا وجسميا من بر أبنائهما ورعايتهم لهما. فالأبناء مصدر صحة والديهم وسعادتهما في مرحلة كبر السن.

كما أن هناك مصلحة ثانية للوالدين في بر الأبناء لهما، لا يدركها إلا من كان يؤمن بما أُنزل على محمد ﷺ؛ فالوالدان يربحان ربحا روحيا من بر أبنائهما في الثواب الذي يصلهما بعد موتهما من استغفار أبنائهما لهما، ودعائهم لهما، والتصدق عنهما، وإنفاذ عهدهما، وقضاء دينهما. ولا يستشعر بقيمة هذا الربح إلا من كان يؤمن بما في حديث رسول الله ﷺ «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**» .

ب- منفعة الأبناء: ويستفيد الأبناء من بر الوالدين أكثر مما يستفيد الوالدان منه، وتتحقق لهم مصالح كثيرة في الدنيا والدين، نلخصها في الآتي:

في الدنيا: يسهم بر الوالدين في تنمية الصحة النفسية للأبناء من خلال رضا والديهم عنهم، ورضاهم هم عن أنفسهم في رعاية أعز الناس وأحبهم إلى نفوسهم. فقد أشارت الدراسات إلى أن الأبناء الذين شاركوا في رعاية والديهم الكبيرين أفضل في الصحة النفسية من الأبناء الذين أهملوا في رعاية والديهم، وأرجع الباحثون هذا إلى شعور الأبناء الراعين لوالديهم بالرضا

عن أنفسهم وعن والديهم، وإلى ما يلمسونه من احترام وتقدير المجتمع لهم على رعاية الوالدين (Lustbader & Hooyman, 1994).

كما يحصل البارّون بوالديهم على تقدير أبنائهم لهم، والاقتداء بهم في بر الوالدين، فيبرونهم في مرحلة كبر السن. وبات كثير من الباحثين مقتنعين بضرورة رعاية كبار السن في الأسرة ليقتدي الصغار بالكبار في هذا العمل النبيل (Lustbader & Hooyman,1994). وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم يبركم أبناؤكم**» (رواه الحاكم).

ويحصل الأبناء على مصلحة ثالثة في الدنيا من برهم لوالديهم، وهي شعورهم بتقدير الذات لأنهم شكروا أصحاب الفضل عليهم وأدركوا تقدير والديهم لهم، وتقدير المجتمع الذي يقدر الوفاء والإحسان والتضحية ورد الجميل.

ب- في الدين: ويحصل الابن (أو الابنة) البار بوالديه على ربح روحي أو مكسب نفسي روحي، لا يُقدِّر قيمته وأهميته وتأثيره إلا مَنْ كان يؤمن بطاعة الله في بر الوالدين والإحسان إليهما. وتتلخص الأرباح الروحية التي يحصل عليها البار بوالديه في الآتي:

١- دخول الجنة: فمن بر والديه دخل الجنة. فقد قال رسول الله ﷺ **رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف،** قيل مَنْ يا رسول الله قال ﷺ: **مَنْ أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة** (رواه مسلم). وقال أنس –رضي الله عنه– صعد النبي ﷺ المنبر، ثم قال: **آمين. آمين. آمين** قيل: يا رسول الله علام أمّنت؟، فقال ﷺ: **أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده لم يصل عليك، قل آمين، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف رجل دخل شهر رمضان، ثم خرج فلم يُغْفَر له، قل آمين، قلت آمين، ثم قال: رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما، فلم يدخلاه الجنة، قل آمين، قلت آمين** (رواه الطبراني).

٢- الحصول على رضا الله: البر يُدْخل السرور والرضا على الوالدين، فيرضيان عن ابنهما أو ابنتهما، وفي رضاهما رضا الله. فقد قال رسول ﷺ: «**رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين**» (رواه الطبراني). وقال ﷺ: «**ما من مسلم له والدان مسلمان، يصبح إليهما محسنا، إلا فتح الله له بابين (في الجنة) وإن كان واحدا فواحدا، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه،** قيل: وإن ظلماه. قال: **وإن ظلماه**» (رواه البخاري).

٣- محبة الأهل والناس: فقد قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة للأهل، ومثراة في الحال، ومنسأة في الأثر**» (رواه البخاري) أي زيادة في العمر.

٤- البركة في العمر والسعة في الرزق: فقد قال رسول الله ﷺ «**من سره أن يمد الله في عمره، ويوسع في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله، وليصل رحمه**» (رواه أحمد) وقال ﷺ: «**من بر والديه طوبى له، زاد الله في عمره**» (رواه أبو يَعْلَى).

٥- الإكرام والبر في الكبر: فقد قال رسول الله ﷺ: «**ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه**» (رواه الترمذي). وقال ﷺ: «**عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم يبركم أبناؤكم**» (رواه الحاكم).

٦- تفريج الكروب ورفع البلاء: فبر الوالدين، والإخلاص فيه، برفع البلاء، ويجلب الفرج، ويجعل بعد عسر يسراً، بقدرة الله تعالى. فعن عبدالله ابن عمر بن الخطاب –رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّتْ عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهمَّ**

كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغْبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فَنَأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أُرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غَبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت –والقدح على يدي– أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصِّبية يتضاغون عند قدمي،فاستيقظا فشربا غَبوقهما. اللهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه ...» الحديث (عن محمد، ١٩٩٦ :١٤٢).

ومن طريف ما يروى عن صور البر بالأم أن أبا يزيد البسطامي أراد الذهاب إلى بغداد لطلب العلم، فأعطته أمه أربعين دينارا هي ميراثه من أبيه، وقالت له ضع يَدَكَ في يديِ، وعاهِدْنِي على التزام الصدق، فلا تكذب أبدًا. فعاهدها على ذلك، وخرج في قافلة يريد بغداد، وفي الطريق هجم اللصوص على القافلة، ونهبوا كل ما فيها، ورأوا البسطامي رَثَّ الثياب، فقالوا له: هل معك شيء؟ فقال: معي أربعون دينارًا، فسخروا منه وحسبوه أَبْلَهَ، فتركوه ورجعوا إلى كهف كان به زعيمهم، فقال لهم: هل أخذتم كل ما في القافلة؟ قالوا: نعم، إلاَّ رجلا سألناه عَمَّا معه، فقال: معي أربعون دينارًا فتركناه احتقارًا لشأنه، ونظن أنَّ به خَبَلاً في عقله، فقال: عَلَيَّ به. فلما وقف بين يديه قال له كبير اللصوص: هل معك شيء؟، قال: نعم، معي أربعون دينارًا. قال: أين هي؟، فأَخْرَجَها وسَلَّمَها له. فقال له كبير اللصوص: أمجنون أنت يا رجل؟ كيف تُرشد عن نقودك وتسلمها باختيارك؟. فقال له؛ لماأردتُ الخروج من بلدي، عاهدت أمي على أن ألتزم الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي وفاءً وبرًّا بها. فقال له كبير اللصوص: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، أنت تخاف أن تخون عهد أمك، ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله!. ثم أمر برد جميع ما أُخذ من القافلة، وقال: أنا تائب على يديك يا رجل. فقال له أعوانه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، واليوم أنت كبيرنا في التوبة، فنُشهد الله أننا تُبْنَا جميعاً إلى الله (عن محمد، ١٩٩٦: ١٤٥).

ومن فضائل بر الوالدين أيضاً أن إحدى الفتيات أسلمت لما وَجَدته في الإسلام عن بر للوالدين، وحِرْص أحد المسلمين على رعاية أمه المريضة في المستشفى. وإليك عزيزي القارئ القصة كما قرأتها على شبكة الانترنت. تقول الفتاة: أذهلني الإسلام الذي رفع من قَدْر الوالدين، أول مرة سمعت فيها كلمة الإسلام: كانت أثناء متابعتي لبرنامج تليفزيوني، فضحكت من المعلومات التي سمعتها عن الإسلام والمسلمين.

وبعد عام من سماعي كلمة "الإسلام" استمعت لها مرة أخرى .. في المستشفى الذي أعمل فيه، حيث أتى زوجان وبصحبتها امرأة مريضة. جلست الزوجة أمام المقعد الذي أجلس عليه لمتابعة عملي، وكنت ألاحظ عليها علامات القلق، وكانت تمسح دموعها.

ومن باب الفضول سألتها عن سبب ضيقها، فأخبرتني أنها أتت من بلد آخر مع زوجها، الذي أتى بأمه باحثا لها عن علاج لمرضها العضال، وكانت المرأة تتحدث معي، وهي تبكي، وتدعو لوالدة زوجها بالشفاء والعافية، فتعجبت لأمرها كثيراً! تأتي من بلد بعيد مع زوجها من أجل أن يعالج أمه، وتبكي وتنفعل بهذه الطريقة!.

تذكرت أمي وقلت في نفسي: أين أمي؟ أهديتها قبل أربعة أشهر زجاجة عطر في مناسبة "يوم الأم" ولم أفكر منذ ذلك اليوم بزيارتها! هذه هي أمي فكيف لو كانت لي أم زوج؟! لقد أدهشني أمر هذين الزوجين.. لاسيما وحالة الأم صعبة، وهي أقرب إلى الموت من الحياة. وأدهشني أمر الزوجة، ما شأنها وأم زوجها؟ أتتعب نفسها وهي الشابة الجميلة من أجلها؟، لماذا؟.

لم يعد يشغل بالي سوى هذا الموضوع، تخيلت نفسي لو أني مكان هذه الأم، يا للسعادة التي سأشعر بها، يا لحظ هذه العجوز! إني أغبطها كثيراً. وكان الزوجان يجلسان طيلة الوقت معها، وكانت مكالمات هاتفية تصل إليهما من الخارج، يسأل فيها أصحابها عن حال الأم وصحتها.

دخلت يوما غرفة الانتظار، فإذا بالزوجة جالسة، فسألتها عن حقوق الوالدين في الإسلام، وأذهلني ذلك القدر الكبير الذي يرفعهما الإسلام إليه، وحثه على التعامل معهما برقة ومودة ورحمة.

وبعد أيام توفيت العجوز، فبكى ابنها وزوجته بكاء حاراً، وكأنهما طفلان صغيران. وبقيت أفكر في هذين الزوجين، وبما علمته عن حقوق الوالدين في الإسلام، وأرسلت إلى أحد المراكز الإسلامية بطلب كتاب عن حقوق الوالدين، ولما قرأته عشت بعده في أحلام يقظة، أتخيل خلالها أني أم، ولي أبناء يحبونني، ويسألون عني، ويحسنون إلي حتى آخر لحظة من عمري دون مقابل. هذا الحلم الجميل جعلني أعلن إسلامي دون أن أعرف عن الإسلام سوى حقوق الوالدين أو بر الوالدين.

تلخيص

يقصد ببر الوالدين اسم جامع لكل خير يقدمه الأبناء للوالدين، وقد جعله الإسلام عبادة، وجاء في آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة الأمر ببر الوالدين والثواب الكبير الذي يحصل عليه الأبناء البارون بوالديهم في الدنيا والآخرة.

ويتضمن بر الوالدين السمع والطاعة للوالدين في غير معصية، ومصاحبتهما، والاجتهاد في عمل ما يرضيهما، وتوقيرهما والإنفاق عليهما، والتواصل معهما، وبرهما بعد موتهما بالدعاء لهما، وإكرام صديقهما، والحج عنهما، وقضاء دينهما، والتصدق عنهما، وخفض الجناح لهما، والاستغفار لهما، وقراءة القرآن من أجلهما.

ويظهر الفرق بين رعاية كبار السن وبر الوالدين في أن البر مصطلح شرعي حدَّده القرآن والسنة، وهو عمل تعبدي قائم على الإيمان، ويقصد به الإحسان إلى الوالدين، وتدفع إليه دوافع دنيوية ودينية، ويمتد مع الوالدين بعد موتهما، ويشمل صلة الأرحام وإكرام صديقهما.

obeikandl.com

أما الرعاية فمفهوم مدني، حدَّدته علوم الشيخوخة، ويقصد به الإحسان إلى كبار السن في المجتمع، وتدفع إليه دوافع دنيوية، ويقف عند الإحسان إلى كبير السن طوال مرحلة الكبر.

وفضائل بر الوالدين كثيرة للوالدين والأبناء، حيث يحصل الوالدان على الرعاية والمساندة والتشجيع والمساعدة والحماية والخدمة من الأبناء ويربحان الثواب من الله في تربية الولد الصالح الذي يدعو لهما بعد موتهما.

ويستفيد الابن (أو الابنة) من بر الوالدين في تنمية صحته النفسية فيرضى عن نفسه، ويحصل على احترام الناس، ويقتدى أبناؤه به في بر الوالدين، فيبرونه عندما يكبر في السن، ويفوز برضا الله ودخول الجنة، ومحبة الأهل، وصلة الرحم، والبركة في العمر والرزق والأولاد، وتفريج الكروب والأزمات.

obeikandl.com